Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية
MESR
منار الشرق للدراسات والأبحاث
Manar Elsharq for Studies & Research

النقد الساخر في ادب الجاحظ (البخلاء انموذجاً)

م.م مصطفى فخرالدين انور[1]، م.م علي حسن صالح[2]
كلية التربية الأساسية/ جامعة كركوك[1&2]

استلام البحث2026-01-10 : مراجعة البحث :23-01-2026 قبول البحث2025-02-10:

الملخص

يُعد الجاحظ من أبرز أعلام النثر العربي في العصر العباسي، حيث تميز أسلوبه بالمزج بين الفكاهة والجد، وكانت السخرية هي رؤيته التي يعبر بها عن ظاهرة معينة، وتميز الجاحظ في كتابه البخلاء عن غيره من معاصريه حيث أنه كان يحدثنا عن الحياة اليومية وكانت نوادره مليئة بالسخرية، وهذا ما تميزت به نفسية الجاحظ المرحة المحبة للضحك فرغم أنه كتب هذا الكتاب في أخر عمره إلا أنه طغت عليه خفة دمه ونفسيته الساخرة، ونسعى من خلال هذا البحث إلى دراسة الأسلوب الساخر في كتاباته، موضحًا دوره في نقد المجتمع، والسياسة، والعادات السائدة بأسلوب يجمع بين الطرافة والعمق الفكري، كما نتناول الآليات اللغوية والأسلوبية التي اعتمدها الجاحظ في سخريته، مثل المفارقة، والتناقض، والمبالغة، وتأثيرها على المتلقي، إذ كانت السخرية عند الجاحظ ليست مجرد وسيلة للترفيه، بل كانت منهجًا فكريًا يسعى إلى الإصلاح والتوجيه بأسلوب يجذب القارئ ويدفعه للتفكير والتأمل، ويُعد النقد الساخر أحد أبرز السمات الأسلوبية في أدب الجاحظ، حيث استخدمه بذكاء للكشف عن عيوب المجتمع وإبراز التناقضات السياسية، وتناول النص ظاهرة الرمزية الاجتماعية في كتاب "البخلاء" للجاحظ، بوصفها وسيلة فنية ذات بعد نقدي، تسعى إلى تصوير المجتمع العباسي وما يعتريه من تناقضات. فالبخل هنا لا يُقدَّم على أنه سلوك فردي فحسب، بل يتحول إلى رمز دالّ على منظومة معقدة من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية، ومن خلال نماذجه القصصية، يكشف الجاحظ أن السلوك الإنساني لا ينفصل عن محيطه، إذ يرتبط بالظروف المعيشية التي تحكم الأفراد؛ فالبخل في كثير من الأحيان وليد الخوف من تقلبات الزمن وضيق الحال، لا مجرد انحراف أخلاقي. كما يبرز التباين بين ما يرفعه المجتمع من شعارات كقيمة الكرم، وما يمارسه فعليًا من تشدد في الإنفاق وحرص مفرط.

ويكشف النص كذلك عن ملامح التفاوت الطبقي في المجتمع العباسي، حيث تبدو الفئات الميسورة متشبثة بالمال على حساب القيم الإنسانية، في حين ترزح الفئات الأقل حظًا تحت وطأة الحاجة، مما يفضي إلى خلل واضح في التوازن الاجتماعي. ويستثمر الجاحظ هذا التباين ليبرز أثر الواقع الاقتصادي في توجيه سلوك الأفراد، ولا يغفل النص عن تصوير التناقض الذي يطال العلاقات الاجتماعية، ولا سيما داخل الأسرة، إذ قد تتحول الروابط الإنسانية إلى علاقات تحكمها المنفعة، في دلالة على تغلّب البعد المادي على القيم الأخلاقية.

أما من حيث الأسلوب، فقد تجنب الجاحظ الطرح المباشر، ولجأ إلى السخرية والرمز، فجعل من شخصياته مرآة عاكسة لواقع المجتمع، تستفز القارئ وتدفعه إلى التأمل. وبذلك قدّم نقدًا اجتماعيًا غير صريح، يكشف الخلل بأسلوب فني بعيد عن المواجهة المباشرة، وفي المحصلة، تتجلى الرمزية في "البخلاء" كأداة تحليل عميقة، تتجاوز حدود الزخرف الفني، لتسهم في كشف التفاوت الاجتماعي، وفضح التناقض بين القيم والممارسات، وبيان أثر العوامل الاقتصادية في تشكيل العلاقات الإنسانية.

وتناولنا في هذا البحث تعريف لمصطلح السخرية مع نبذة بسيطة لحياة ومؤلفات الكاتب، ومن ثم درسنا ابرز موضوعات واساليب السخرية عند الجاحظ في كتاب البخلاء مع عرض ملخص لأهم الدراسات السابقة وشرح التساؤلات الأساسية.

الكلمات المفتاحية: السخرية، الجاحظ، البخلاء

Abstract:

Al-Jahiz is considered one of the most prominent figures of Arabic prose during the Abbasid era. His style is distinguished by a blend of humor and seriousness, and satire was his lens for expressing particular social phenomena. In his book Al-Bukhala' ("The Misers"), Al-Jahiz stood out from his contemporaries by narrating everyday life, with anecdotes full of irony, reflecting his cheerful and humorous personality. Although he wrote this book late in his life, his light-heartedness and satirical mindset prevail throughout.

This study aims to examine the satirical style in his writings, highlighting its role in critiquing society, politics, and prevailing customs in a manner that combines wit with intellectual depth. It also explores the linguistic and stylistic devices Al-Jahiz employed in his satire—such as paradox, contradiction, and exaggeration—and their impact on the audience. For Al-Jahiz, satire was not merely a means of entertainment; it was an intellectual approach aimed at reform and guidance, presented in a way that engages the reader and stimulates reflection. Satirical critique stands out as a key stylistic feature in Al-Jahiz's literature, through which he cleverly exposes societal flaws and political contradictions.

The text also addresses the phenomenon of social symbolism in Al-Bukhala', portraying it as an artistic device with a critical dimension aimed at depicting Abbasid society and its inherent contradictions. Misery and stinginess are not presented merely as individual traits; they become symbols reflecting a complex system of social, economic, and moral conditions. Through his narrative models, Al-Jahiz demonstrates that human behavior is inseparable from its environment, often shaped by living conditions; stinginess, in many cases, stems from fear of life's uncertainties and financial constraints rather than moral deviation. Moreover, he highlights the contrast between the societal ideals of generosity and the actual practices of frugality and excessive caution in spending.

The text also reveals the features of class disparity in Abbasid society, where the wealthy cling to their wealth at the expense of human values, while the less fortunate struggle under poverty, leading to clear social imbalance. Al-Jahiz leverages this contrast to show the impact of economic realities on individual behavior. The text does not ignore the contradictions affecting social relationships, particularly within the family, where human bonds may become governed by utility, indicating the dominance of material considerations over moral values.

In terms of style, Al-Jahiz avoided direct exposition and instead relied on satire and symbolism, making his characters a mirror reflecting societal reality, provoking the reader to contemplate. In this way, he offered an indirect social critique, revealing flaws through an artistic approach rather than direct confrontation. Ultimately, symbolism in Al-Bukhala' emerges as a profound analytical tool that goes beyond mere literary embellishment, contributing to exposing social disparities, highlighting contradictions between values and practices, and illustrating the influence of economic factors on human relationships.

This study also includes a definition of satire, a brief overview of the author's life and works, an examination of the main themes and satirical techniques in Al-Jahiz's Al-Bukhala', a summary of key previous studies, and a discussion of the fundamental research questions

Keywords : Satire, Al-Jahiz, Misers

المقدمة:

تعد "البخلاء" نموذجًا أدبيا غنيًا بالرمزية الاجتماعية التي تعكس التفاوت الطبقي والاقتصادي في العصر العباسي، من خلال الرموز، نجح الجاحظ في تقديم نقد اجتماعي لاذع، يعكس ما كان عليه المجتمع في ذلك العصر من مفاهيم وعلاقات غير عادلة الرمزية هنا لم تكن مجرد تقنية أدبية، بل كانت أداة فكرية حاسمة في معالجة قضايا أخلاقية واجتماعية مهمة، وبذلك تظل "البخلاء" مرجعًا أدبيا هاما لفهم التفاعلات الاجتماعية والاقتصادية في الأدب العباسي، وكانت السخرية الاجتماعية من أبرز الوسائل الفنية التي اعتمدها الأدباء في تصوير الواقع والكشف عن أبعاده المتعددة، إذ تجمع بين الطرح المباشر والإيحاء الدلالي العميق. وفي إطار الأدب العربي الكلاسيكي، تبرز أعمال الجاحظ بوصفها نموذجًا متميزًا في توظيف الرمزية لخدمة القضايا الاجتماعية، ولا سيما في كتابه "البخلاء"، الذي يُعد من أهم النصوص النثرية في العصر العباسي.

إذ يعكس الجاحظ في هذا العمل صورة دقيقة للمجتمع الذي عاصره، من خلال أسلوب يجمع بين الطرافة والعمق النقدي، حيث يصوّر نماذج بشرية تنتمي إلى طبقات اجتماعية مختلفة. ولم يكن البخل في هذا السياق مجرد سلوك فردي، بل تحوّل إلى رمز دال على أبعاد اجتماعية واقتصادية أعمق، ترتبط بطبيعة البيئة التي نشأ فيها هذا السلوك.

ومن خلال عرضه التفصيلي لشخصيات البخلاء وسلوكياتهم، يكشف الجاحظ عن جملة من التناقضات القيمية التي سادت المجتمع، مثل التمسك بالماديات، وتغليب المصلحة الذاتية، والخوف من الفقد. كما أن اختيار البخل محورًا رئيسًا في العمل لا يخلو من دلالة رمزية، إذ يتجاوز حدود الفكاهة ليصبح مدخلًا لفهم التحولات الاجتماعية في العصر العباسي، بما فيها التفاوت الطبقي والانقسامات الفكرية والثقافية.

ومن هذا المنطلق، يطرح الجاحظ رؤية نقدية عميقة تتناول طبيعة الإنسان وعلاقته بالمال، وتأثير ذلك في منظومة القيم الاجتماعية، ولا سيما ما يتعلق بالتكافل والتعايش. ويتميّز أسلوبه بالدقة والقدرة على توظيف الحكاية بوصفها أداة فنية تحمل في طياتها أبعادًا رمزية، إذ لا يقتصر هدفه على الإمتاع، بل يتجاوزه إلى تقديم نقد اجتماعي يعكس التحولات الاقتصادية والفكرية في مجتمعه.

وعليه، فإن دراسة الرمزية الاجتماعية في "البخلاء" تتيح فهمًا أعمق للعلاقة التفاعلية بين الأدب والواقع، وتكشف عن دور النص الأدبي في إعادة تشكيل الصورة الاجتماعية بأسلوب نقدي يجمع بين الفائدة والمتعة. كما تؤكد هذه الدراسة أهمية الأدب بوصفه مرآة تعكس البنى الاجتماعية والثقافية، وتسهم في إثراء وعينا بتاريخنا الإنساني

أهداف البحث

1_دراسة النقد الساخر في أدب الجاحظ، ومدى تأثير اسلوب السخرية في تشكيل قوة النقد الساخر وتأثيره في المتلقي.

2_تحليل ودراسة الحوار التهكمي في نصوص الجاحظ وكيفية توظيفه للنقد، وتحليل السرد الساخر الذي يعتمده في قصصه وحكاياته لنقل أفكاره النقدية.

3_دراسة أثر السخرية في إثارة وعي القارئ وتحفيزه على التفكير. فقد تميزت كتاباته بأسلوب ساخر يجمع بين الطرافة والذكاء النقدي، مما جعله يستخدم السخرية كأداة فعالة لتوجيه النقد الاجتماعي والثقافي والسياسي.

4_الكشف عن مظاهر الرمزية الاجتماعية في "البخلاء" وبيان دورها في النقد الاجتماعي.

5_ تحليل الشخصيات بوصفها نماذج رمزية تمثل طبقات المجتمع المختلفة.

6_تفسير العلاقة بين الرمزية والواقع الاقتصادي في العصر العباسي من خلال النص.

7_ بيان وظيفة الرموز الاجتماعية في بناء بيئة أدبية تعكس الواقع بوضوح.

8_ إبراز كيفية توظيف الجاحظ للرمزية في التعبير عن التفاوت الطبقي والاقتصادي.

اهمية البحث

تبرز أهمية البحث في تسليط الضوء على دور السخرية، حيث لم تكن مجرد وسيلة للترفيه، بل أداة للإصلاح الاجتماعي والفكري، والمساعدة على فهم الأساليب اللغوية والأدبية التي استخدمها الجاحظ في نقده للمجتمع والسياسة والثقافة، وتكمن الأهمية من خلال تحليل أعماله، إذ نرى أنه لم يكن يسعى إلى الإضحاك فحسب، بل كان يوظف السخرية بأسلوب متين لإبراز عيوب المجتمع وكشف تناقضاته.

منهجية البحث

تم الاعتماد على المنهج التكاملي في كتابة البحث، وركزنا فيه على الخصائص اللغوية والأسلوبية التي ميزت سخرية الجاحظ، مثل التكرار، والتلاعب بالألفاظ، والصور البلاغية، والتركيز على تحليل الأسلوب بوصفه وسيلة للتعبير عن المعاني والدلالات

السخرية لغةً:

لقد تعددت التعاريف في المعاجم والقواميس لمصطلح السخرية حيث جاء تعريفها في معجم

ففي القاموس المحيط الفيروز: "سَخِرَ منه ربه، كَفَرِحَ، سَخْراً وسَخَراً وسُخْرَةً ومَسْخَرَةً ومَسْخَراً وسَخْراً وسُخَراً، أما عن الاِسمُ : السُّخْرِيَةُ والسُّخْرِيُّ، ويكسرُ، وسَخَرَهُ، كمنعه، سِخْرِيًّا، بالكسرِ ويضمُّ: كلّفه ما لا يُريدُ، وقهَرهُ، وهو سُخْرَة لي وسُخْرِيٌّ وسِخْرِيٌّ، ورجل سُخَرَة، كهمزة: يسخر من الناس، وكَيُسْرَة: من يُسْخَرُ منه، ومن يَتَسَخَّر كُلَّ من قهرهُ، وَسَخَرتِ السَّفِينَةُ، كمنع: طابت لها الرّيحُ والسَّيْرُ" [1]

كما وردت في معجم لسان العرب: " السُّخْرِيَّةُ: الهُزْءُ، سَخِرَ منه وبه سُخْراً وسُخْرِيًّا وسُخْرِيَّةً؛ الأَخيرة عن اللحياني، وهو على تقدير مصدر، قال الجوهري: سُخْرِيٌّ وسُخْرِيَّةً وسُخْرًا، وضُمَّت السين في الأَخير لأَنها مصدر، وسَخَّرْتُهُ فتَسَخَّرَ أي أَمرتُهُ بالخِدْمَةِ فأَطاع، والتَّسْخِيرُ: تَذْليلُكَ الإِنسانَ لِما تُرِيدُ منهُ بِقَهْرٍ أَو مُعْتادٍ، وسَخَّرَ اللَّهُ السَّحابَ والشَّمْسَ والقَمَرَ أَي ذَلَّلَهَا وأَخْضَعَها" [2]

ووردت المعجم الوجيز: " سَخِرَ منه، وبه سخراً، وسخرية: هزئ به، استسخر منه، وسَخِرَ ومن يسخر منه الناس المسخرة: ما يجلب السخرية" [3]

السخرية اصطلاحاً:

السخرية فن متطور وغير ثابت، حيوي ومتجدد، وقديم بقدم الإنسان لأنها قد يكون بمثابة ترويح للنفس أو تسرية للقلب، أو استنكاراً لما يقع، أو هُزُؤًا، وتندراً بالخصم.

أي أنها أسلوب في الكلام وسلاح لكل فرد يظهره في مواقف مختلفة، كما وأنها هي إسباغ المعنى الواقعي كله على الكلمات والإيحاء عن طريق الأسلوب والفاء الكلام بعكس ما يقال، وان طريقته ترتكز على طرح الأسئلة مع التظاهر بالجهل، وقول شيء في معرض شيء آخر. [4]

ونلاحظ أن فن السخرية مفهوم جامع للمصطلحات الأخرى مثل الفكاهة والتهكم والهجاء، ويشتمل هذا الأدب على جميع أنواع الإبداع الأدبي الذي يقدم موضوعاته بسخرية، فالأديب الساخر أو المبدع هو من يتناول قضايا وهموم شعبه بطريقة كوميدية هدفها تسليط الضوء على مشاكل الناس.

سيرة حياة الجاحظ

اسمه: "ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، ذو الفنون صاحب التصانيف، روي عن ابي يوسف القاضي وثمامة الاشرس، وروى عنه ابو العيناء، قال المبرد : دخلت على الجاحظ، فقلت: "كيف أنت"؟ فأجابني: "كيف من نصفه مفلوج، ونصفه الآخر منقرس ؟ لو طار عليه ذباب لآلمه، والآفة في هذا أني جزت التسعين"، وقيل ايضا : طلبه المتوكل، فقال : "وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل، ولعاب سائل!!"، اما عن وفاته قال ابن زبر انه مات سنة خمسين ومائتين. فيما قال الصولي مات سنة خمس وخمسين ومائتين.

قيل عنه، انه كان من بحور العلم، وتصانيفه كثيرة جدا، وانه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كاملةً، حتى إنه كان يكتري دكاكين الكتبيين، ويبيت فيها للمطالعة، وكان شديدا في قوة الحفظ. وأنه قال في مرضه للطبيب: "اصطلحت الأضداد على جسدي، إن أكلت باردا خذ برجلي، وإن أكلت حارا خذ برأسي"[5]

مؤلفاته

ان من أبرز مؤلفات الجاحظ

1_ البيان والتبيين 2_ المحاسن والأضداد 3_ الحيوان.

أساليب السخرية

يُعَدّ الجاحظ من أبرز الأدباء الذين اتسمت كتاباتهم بروح الفكاهة والسخرية، إذ كان يميل بطبعه إلى الهزل الذي ينطوي على لون من السخرية، مما يعكس طبيعته النفسية المرحة، وقدرته الفريدة على توظيف هذا المزاج في قصصه ونوادره. وقد أشار الجاحظ إلى ذلك صراحةً بقوله: "ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبين حجة طريفة، أو تعريف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة" [6]

وقد اعتمد الجاحظ في بناء سخريته على مجموعة من الخصائص الفنية، منها:

• **الوصف والتصوير**: "أظهر الجاحظ براعة فائقة في وصف الشخصيات ورسم ملامحها وحركاتها ونوازعها النفسية، حتى تكاد تتجسد أمام القارئ" [7]، ويُعد حديثه عن (المصاص) الذي كان يمتص جوف قصبة العظم ويستأثر بها دون رفاقه، مثالاً واضحاً على دقة التصوير وروح السخرية الكامنة في وصفه [8].

• **التصوير الهزلي الكاريكاتوري**: ويتجلى من خلال الجمع بين السكون والحركة، وسخرية المواقف، والأجوبة المسكتة، وحسن التعليل، والتضاد، والمفارقات التي تثير الطرافة [9].

• **التوتر النفسي**: يظهر التوتر النفسي في نوادر الجاحظ بثلاثة مستويات:

أدنى مستوى: حيث يُبرر البخل بوصفه نوعًا من الاقتصاد.

أقصى مستوى: عندما يبلغ الجشع ذروته، ويحتكر الإنسان ما يملك بشراهة.

التوتر السلبي: الذي يتمثل في شخصية البخيل الطماع الشره[10].

• **السخرية الانتقادية**: إن موقف الجاحظ من بخلائه ليس موقف من يبغضهم أو يحقد عليهم رغم فضحه لمنطقهم وسلوكهم المشين، بل يبدو الجاحظ في كثر من المواقف رفيق بهم مشفقاً عليهم متعاطفاً معهم يضحك لأحاديثهم ويصغي إلى حججهم [11].

• **المبالغة**: إذ كانت المبالغة ظاهرة جداً بالاخص في قصص البخلاء مثل قصة ليلى الناعطية، حيث يذكر الجاحظ انه كان عندها قميص من كثرة الرقاع تحولت الرقاع إلى قميص وهذه مبالغة في البخل، فإنها مازالت ترقع قميص لها وتلبسه، حتى صار القميص الرقاع، وذهب القميص الأول،[12]، ومن خلال هذه القصة نلاحظ أن الجاحظ لم يقتصر في سخريته على هذه المرأة فحسب، بل اتخذ منها نموذجًا ساخرًا يُسقط عليه ملامح الحياة الاجتماعية لدى الشيعة، فجعل منها بؤرة تهكم وهزل تعكس ما يراه من مبالغة في العادات والتقاليد التي تميز هذه الطائفة أو الفرقة الدينية.

قصص السخرية

اولا: **قصة مريم الصناع**

ان بين القصص التي برزت فيها سخرية الجاحظ قصة مريم الصناع، إذ اقبل شيخٌ عليهم وقال:

"هل شعرتم بموت مريم الصناع؟ فإنها كانت من ذوي الاقتصاد، وصاحبة إصلاح، قالوا: فحدثنا عنها، قال: نوادرها كثيرة، وحديثها طويل، ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية، قالوا: وما هي؟، قال: زوّجت ابنتها، وهي بنت اثنتي عشرة سنة، فحلّتها الذهب والفضة، وكستها المرويَّ والوشايةَ والقزَّ، وعلّقت عليها المعصفرةَ ودقة الطيب، وعظّمت أمرها في عين الختان، ورفعت من قدرها عند الإحماء، هنا حيث قال لها زوجها: "أنَّى لكِ هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله، قال: دعي عنكِ الجملة وهاتِ التفصيل، فوالله ما كنتِ ذات مال قديم، ولا ورثته حديثًا، وما أنت بخائنة في نفسكِ، ولا في مال بعلكِ،

إلا أن تكوني قد وقعتِ على كنز! وكيف دار الأمر، فقد أسقطتِ عني مؤونة، وكفيتني هذه النازلة، قالت: اعلم أنني منذ يوم ولدتها إلى أن زوّجتها، كنت أرفع من دقيق كل عجنة حفنة، وكنا — كما قد علمت — نخبز في كل يوم مرة، فإذا اجتمع من ذلك مكوك بعته، قال زوجها: "ثبت الله رأيكِ وأرشدكِ، ولقد أسعد الله من كنتِ له سكنًا، وبارك لمن كانت جعبته عندكِ ملأى، فنهض القوم بأجمعهم إلى جنازتها، وصلّوا عليها، ثم انكفؤوا إلى زوجها فعزّوه على مصيبته، وشاركوه حزنه" (13)

تميّزت قصة مريم الصناع بالسؤال التهكمي الذي عَظَّمَ من شأن البخيلة بطريقة ساخرة، كما يظهر في قوله: (هل شعرتم بموت مريم الصناع؟)، وبعد هذا السؤال، نجد أدنى درجات التوتر النفسي، حيث وصفها الجاحظ بحسن التدبير والاقتصاد، باعتباره تصرفًا إيجابيًا، وذلك في قوله: (من ذوات الاقتصاد وصاحبة إصلاح)،ثم جاء الجاحظ بالمقدمة الإغرائية التي تهدف إلى جذب انتباه السامعين وإثارة فضولهم، متمثلة في عنصر التشويق عبر قوله: "فحدثنا عنها وقال: نوادرها كثيرة وحديثها طويل، لكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية"، قالوا: "وما هي"، وتتضمن هذه القصة أيضًا تصويرًا هزليًا يعتمد على عنصر المبالغة، كما يظهر في قوله: (نوادرها كثيرة)، كما نجد داخل القصة البعد الحواري الذي يدور بين مريم الصناع وزوجها، حيث يظهر الجاحظ بصفته الراوي الذي ينظم سير العملية الحوارية، مضيفًا على الحوار شيئًا من الدعابة والطرافة.

ويتجلى ذلك في كشفه عن حمق وسذاجة الزوج، الذي بدا وكأنه لم يدرك حقيقة تصرف زوجته إلا عندما قال لها مستغربًا: (إلا أن تكوني قد وقعتِ على كنز).

ومن خلال هذه القصة، يبدو واضحًا أن الجاحظ معجب بشخصية مريم الصناع، وبطريقتها المبتكرة في جمع المال، رغم ما يضمره من سخرية من الزوج، الذي جعله مادة للطرفة والهزل، ويختم الجاحظ قصته بأسلوب ساخر يحمل في طياته مجموعة من الأوصاف التي تُظهر تأثر الناس وإعجابهم بتصرف مريم الصناع، إلى حد مشاركتهم زوجها حزنه، ومواساتهم له في مصيبته

ثانياً: **<u>قصة معاذة العنبرية</u>**

كانت قصة معاذة العنبرية محط سخرية الجاحظ، حيث أندفع شيخُ منهم فقال: "لَمْ أَرَ في وضع الأمورِ موضعَها، وفي توفيتِها غايةَ حقوقِها، كمعاذةَ العنبريةِ". التي أُهْدِيَ إليها هذا العامِ ابنُ عمٍّ لها أضحيةً، فرأيتُها كئيبةً حزينةً، مفكّرةً مطرقةً، فسألتُها: مالَكِ يا معاذةُ؟ فقالت: "أنا امرأةٌ أرملة، وليس لي قيمٌ، ولا عهدَ لي بتدبيرِ لحمِ الأضاحي، وقد ذهب الذين كانوا يدبّرونه ويقومون بحقِّه، وقد خِفْتُ أن يضيعَ بعضُ هذه الشاةِ، ولستُ أعرفُ وضعَ أجزائِها في أماكنِها، وقد علمتُ أن اللهَ لم يخلقْ فيها ولا في غيرِها شيئًا لا منفعةَ فيه جميعًا، ولكن المرءَ يعجزُ لا محالةَ، ولستُ أخافُ من تضييعِ القليلِ إلا أنه يجرُّ تضييعَ الكثيرِ، أما القرنُ، فالوجهُ فيه معروفٌ أن يُجعل منه كالخطّافِ يُثبَّتُ في جذعٍ من أجذاعِ السقفِ، فيُعلّقُ عليه الزبلُ والكيرانُ وكلُّ ما خيفَ عليه من الفئرانِ والنملِ والسنانيرِ وبناتِ وردانَ والحياتِ وغيرِ ذلك، وأما المصرانُ فإنه لأوتارِ المندفةِ، وبنا إلى ذلك أعظمُ الحاجةِ. وأما قحفُ الرأسِ واللحيانِ وسائرُ العظامِ فسبيلُها أن تُكسَرَ بعد أن تُعرقَ ثم تُطبخَ، فما

ارتفع من الدسمِ كان للمصباحِ وللإدامِ وللعصيدةِ ولغيرِ ذلك، ثم تؤخذ تلك العظامُ فيُوقدُ بها، فلم يرَ الناسُ وقودًا قطُّ أصفى ولا أحسنَ لهبًا منه، وإذا كانت كذلك فهي أسرعُ في القدرِ لقلّةِ ما يخالطُها من الدخانِ، وأما الإهابُ فالجلدُ نفسه جرابٌ، وللصوفِ وجوهٌ لا تُعدُّ. وأما الرفثُ والبعرُ فحطبٌ إذا جُفّفَ عجيبٌ". ثم قالت: "بقي علينا الآن الانتفاعُ بالدمِ، ها قد علمتُ أن اللهَ تعالى لم يحرّم من الدمِ المسفوحِ إلا أكله وشربه، وأن له مواضعَ يجوزُ فيها ولا يُمنعُ منها، وإن أنا لم أقعْ على علمٍ بذلك حتى يضيع موضعُ الانتفاعِ به، صار كَيّةً في قلبي وقذىً في عيني، وهما لا يزالان يعوداننني، فلم ألبثْ أن رأيتُها قد طلقتْ وتبسمتْ"، فقلتُ: ينبغي أن يكون قد انفتح لكِ بابُ الرأيِ في الدمِ، فقالت: أجلْ، ذكرتُ أن عندي قدورًا شاميةً جدادًا، وقد زعموا أنه ليس شيءٌ أدبغُ ولا أزيدُ في قوتِها من التلطيخِ بالدمِ الحارِّ الدسمِ، وقد استرحتُ الآن إذ وقع كلُّ شيءٍ موضعَه" (14).

تتجلى في هذه القصة مقدمة مشوقة استخدم فيها الجاحظ ألفاظًا تستهدف شد انتباه السامع، كما في قوله الذي بالغ فيه: "لم أرَ في وضع الأمور موضعها وفي توفيتها غاية حقوقها كمعاذة العنبرية"، وقد برزت أيضًا ألفاظ تدل على التصدق والكرم مثل: (أُهدي إليها هذا العام ابن عمٍّ لها أضحية)، كما تبرز الحالة النفسية لمعاذة من خلال تعبيرات تدل على الحزن والاضطراب مثل: حزينة، كئيبة، خفت.

واستعان الجاحظ بالتناص الديني في قوله: "لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه"، مع توظيف أسلوب المفارقة عبر الدقة في معرفة تفاصيل أجزاء الشاة واستعمالاتها بما يتجاوز حدود الواقع المعتاد (كالقرنين، والأمعاء، والرأس)، كذلك نجد المبالغة واضحة في التفاصيل، كما في قوله عن البعر: (فحطب إذا جُفف)، وتصل القصة إلى أقصى درجات التوتر النفسي، حيث يظهر الجشع واحتكار المال، ويصيب معاذةَ الخوفُ والقلقُ من ضياع أي جزء من الأضحية مهما كان ضئيلًا.

ثالثاً: **<u>قصة العنبري</u>**

ومن بين القصص الساخرة في كتاب البخلاء قصة العنبري، إذ قال: "حدثني المكي قال: كنت يوما عند العنبري إذ جئت جارية أمه ومعها كوز فارغ فقالت: قالت أمك بلغني أن عندك مزملة ويومنا حار فأبعث لي بشربة منه في هذا الكوز قال: كذبتي أمي أعقل من أن تبعث بكوز فارغ ونرده مليئان اذهبي فأملئيه ماء حبكم وفرغيه في حبنا ثم إملئيه في ماء مزملتنا حتى يكون شيء بشيء" (15).

يُظهِر هذه القصة مواضعَ السخرية في تصرفات المرأة، والرجل، والأمّ، والابن، حتى في أبسط الأشياء وأقلّها ثمنًا، وهي "الماء". فالابن بفطرته لا يقبل أن يُقدّم شيئًا بلا مقابل؛ فتلك طبيعةٌ لا يتنازل عنها، حتى أمام أقرب الناس إليه، ويرى الجاحظ في هذا الباب مادةً للتهكم، لأنه يخالف تقاليد العرب القائمة على الجود والكرم، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، فكل خروج عن هذه الخصال يُعدُّ سوءَ خلقٍ تستحقّ الهزل والسخرية، لأنَّها تنقض العادات والتقاليد المتأصلة في المجتمع العربي القديم.

موضوعات السخرية

بدأ الأدب الساخر في العصر العباسي يتخذ أشكالًا متنوعة، فلم يعد مقتصرًا على الهجاء وحده، بل اتسعت موضوعاته، وكان من أبرزها ما ورد في كتاب البخلاء للجاحظ، ومن بين تلك الموضوعات:

1- <u>الاختلالات الخَلقية والشكلية</u>

وهي سمة بارزة في عدد من القصص، فقد قدّم الجاحظ على لسان الحارثي وصفًا تهكميًا لشخص يُدعى (علي الأسواري) : " وكان إذا أكلَ ذهب عقلُه، وجحظت عيناه، وسَكِر، وسَدَر، وانبهر، وتربَّد وجهُه، وعصَب، ولم يَسمَع، ولم يُبصِر، فلمّا رأيتُ ما يعتريه، وما يعتري الطعامَ منه، صِرتُ لا آذنُ له إلا ونحن نأكل التمرَ، والجوزَ، والباقِلى " [16] .

وقد صوّر الجاحظ في هذا المقطع حالة الشره والنهم التي تنتاب علي الأسوار عند تناول الطعام، في تجسيد ساخر لطبيعة البخيل حين يُدعى إلى مائدة، فالبخيل كما يراه الجاحظ لا ينشغل بشيء قدر انشغاله بالطعام، حريصًا على ألّا تفوته لقمة واحدة، وتلك حاله في كل موضع يكون فيه ضيفًا، حيث يغلب عليه الجشع ويفقد توازنه من فرط الحرص.

2- **<u>البخل</u>**

كتب الجاحظ عن البخل باعتباره ظاهرة اجتماعية أثارت اهتمامه، فانشغل برصد أدقّ تفاصيلها، كاشفًا عن خبايا نفوس البخلاء، وحركاتهم، وسكناتهم، وقلقهم الدائم، وجشعهم المفرط تجاه الطعام، وقد صنّف الجاحظ البخلاء إلى أنواع متعددة، فذكر البخيل بالفطرة، والبخيل بالوراثة، والبخيل على والديه، وحتى بخل المرأة، ومن شدّة تهكمه قال: "إنَّ الدِّرهمَ عندَ البخيلِ يَساوي دِيَةَ مُسلِمٍ" [17]، في إشارة ساخرة إلى مدى تعظيم البخيل للمال وتعلّقه به.

ومن أمثلة ذلك قصة معاذة العنبرية، يقول الراوي: "اجتمع ناسٌ من المسجدينَ ممّن ينتحلون الاقتصاد في النَّفَقة، وكانوا إذا التَقَوا في حَلاقتِهم تذاكَروا البُخلَ. وقال شيخٌ منهم: "ما رأيتُ في وضعِ الأمورِ مواضِعَها، وفي توفيتِها غايَةَ حُقوقِها كمعاذةَ العَنبَرِيَّة"، قالوا: "وما شأنُ معاذةَ هذه؟"، قال: "أُهدِيَ إليها هذا العامِ ابنُ عمٍّ لها أُضحيَة، فرأيتُها كئيبةً، حَزينةً، مُفكِّرةً، مُطرِقة"، فقلتُ لها: "ما لَكِ يا معاذة؟"، قالت: "أنا امرأةٌ أرملةٌ، وليس لي قيامٌ، ولا عهدَ لي بتدبيرِ لحمِ الأضاحي، وقد ذهب الذين كانوا يُدبِّرونه ويقومون بحقِّه، وقد خِفتُ أن يضيع بعضُ هذه الشاة، ولستُ أعرِفُ وضعَ جميعِ أجزائِها في أماكنِها"، "وقد علمتُ أن اللهَ لم يخلُق فيها ولا في غيرِها شيئًا لا منفعةَ فيه، ولكنَّ المرءَ يَعجَزُ لا محالة، ولستُ أخافُ من التَّضييعِ إلّا أنّه يجرُّ تضييعَ الكثير"[18].

استخدمت معاذة القرن كخطاف لتعليق سرج الفرس، كما علّقت عليه الأشياء التي تخشى عليها من الفئران والحشرات، ما يدلّ على حرصها الشديد على الاستفادة من كل جزء من الأضحية.

وقد صوّرها الجاحظ في بداية القصة حزينة وكئيبة، لأنها كانت تجهل كيفية تدبير الأضحية بعد وفاة زوجها، الذي كان يتولى هذا الأمر، لكن مع نهاية القصة بدت سعيدة ومطمئنة، بعدما أدركت أنها لم تترك جزءًا من الأضحية دون أن تجد له استخدامًا نافعًا، مما يعكس طبيعتها الدقيقة وحرصها على الاقتصاد وعدم التبذير.

3_ **الجحود والإنكار**

سخر الجاحظ من البخيل الذي اعتاد الأخذ دون أن يُقابل الإحسان بمثله، فصوّره في مواقف يُظهر فيها جحوده ونكرانه للجميل، إذ يتلقى المعروف من الآخرين دون أن يُفكر في ردّه، مما يكشف عن طبعٍ أناني لا يعرف للكرم طريقًا، وجعل الجاحظ من هذا السلوك مادةً للهزل والتهكم لما فيه من مفارقة صارخة مع أخلاق العرب في الوفاء ورد الجميل، فمن بين صور نكران الجميل في قصص البخلاء قصة العراقي معا المروزي فقال:" **ما سَمِعْناهُ من مَشايِخِنا على وجهِ الدهر، أنَّ رجلًا من أهلِ مَرْو، كان لا يزالُ يَحُجُّ ويَتَّجِر، ويَنزِلُ على رجلٍ من أهلِ العراق، فيُكرِمُه ويَكْفيهِ مُؤنَتَه، ثم كان كثيرًا ما يقولُ لذلكَ العراقي: ليتَ أني قد رأيتُكَ بمَرْو، حتى أُكافِئَكَ، لقديمِ إحسانِكَ، وما يتجدَّدُ لي من البِرِّ في كلِّ قَدمَة. فأمّا ها هنا فقد أغناكَ اللهُ عني، قال: فعرَضتْ لذلكَ العراقي بعد دهرٍ طويلٍ حاجةٌ في تلكَ الناحية، فكان مِمَّن هَوَّنَ عليه مكابدةَ السفرِ ووحشةَ الاغترابِ، مكانُ المروزيِّ هنالك. فلمّا جاءَ، مضى نَحوه في ثيابِ سَفَرِه، وفي عِمامَتِه، وقَلَنْسُوَتِه، وكِساءه، ليَحُطَّ رَحْلَه عنده، كما يَسمعُ الرجلُ بثِقةٍ أُنسَه، فلمّا وجده قاعدًا في أصحابِه، أَكَبَّ عليه وعانقَه، فلم يَرَه أثبَتَه، ولا سألَه سؤالَ مَن رآه قَطّ. فقال العراقيُّ في نَفسِه: لعلَّ إنكارَه إيّايَ لمكانِ القِناع. فرمى بقِناعِه، وابتدأ مسائلتَه، فكان له أَنكر. فقال: لعلَّه أن يكونَ إنما أُتي من قِبَلِ العِمامة، فنزَعَها، ثم انتسبَ، وجدَّد مسائلته، فوجده أشدَّ ما كان إنكارًا، قال: فلعلَّه إنما أُتي من قِبَلِ القَلَنْسُوة. وعَلِمَ المروزيُّ أنه لم يَبقَ شيءٌ يَتَعَلَّقُ به المتغافِلُ أو المُتجاهِل، فقال: "لو خرجتَ من جِلْدِكَ، ما عرفتُكَ" [19].

فنجد أن البخيل هنا لا يكتفي بنكران الجميل، بل يتمادى في ردوده الساخرة، كما يظهر في قوله: (لو خرجت من جلدك لم أعرفك)، وهو ردّ يحمل طابعًا تهكميًا يُذكّرنا بأسلوب فن المقامة، لما فيه من بلاغة لفظية ومفارقة ساخرة، ويظهر نكران المروزي للعراقي بدافع الخوف من أن ينزل ضيفًا عليه، فيضطر إلى التكفّل بطعامه وشرابه، تمامًا كما اعتاد العراقي أن يكرمه عند زيارته، مما يعكس أنانية مفرطة وانقلابًا على قيم الضيافة والمروءة.

4- **التطفل**

إن كتاب البخلاء للجاحظ زاخر بالقصص الفكاهية التي تتناول المتطفلين، لا سيما أولئك الذين يتطفلون على الموائد دون دعوة، ومن أبرز هذه القصص قصة (طفيلي العرس)، التي قدّم فيها الجاحظ مشهدًا ساخرًا يُجسّد شخصية الطفيلي الذي يدخل الولائم دون استئذان، ويُحاول إقناع الآخرين بحقه في الطعام، مستخدمًا ذكاءه وسرعة بديهته، ما يجعل منه نموذجًا للدهاء الممزوج بالوقاحة، ويمنح القارئ صورة طريفة عن بعض السلوكيات الاجتماعية المذمومة بأسلوب ساخر وممتع، يقال: "وكان بالكوفة رجلٌ من بني عبد الله طُفيليٌ يُسمَّى طُفيلًا، وكان أبعدَ الناسِ مجاعةً في طلبِ الولائمِ والأعراس"، فقيل له: "في تلكَ الليلةِ العرسُ، وصار ذلك نبأً، قيل له: فلانٌ لا يُعرَفُ بغيره، فصار كلُّ من كانت له دعوةٌ تلكَ الليلةَ من الولائمِ والأعراسِ يستكثر دائمًا القليلَ من الخبرِ إن فضَّلَه يُقال له: طُفيلي، والطُفيليُّ هو الذي يعتمدُ في غذائهِ على غيره،

وكذلك هو من يحضرُ وليمةً دون أن يُدعى إليها، وطفيليُّ العرسِ كان لا يتركُ وليمةَ عرسٍ إلا وكان حاضرًا فيها، وأصبح يُلقَّبُ بـ "طفيلِّ العرسِ"، فهو اسمٌ لا يُدعى بغيره " [20].

5- **التراخي والكسل**

استخدم الجاحظ شخصية (أبو قطيعة) لتمثيل الكسل والإهمال، حيث صورها كشخص يعيش حياته بلا اكتراث أو اهتمام، مما يؤدي إلى تلاشي الطموح والأمل لديه، وهو بذلك يعكس صورة الإنسان الذي يفتقر إلى الهمة والإرادة، فهي تجسد الخمول العقلي والروحي، فوظفها في هذه القصة، إذ قال الخليلي: " كان أبو قُطْبة يستغلي ثلاثة آلاف دينار، وكان من البخل يؤخّر تَلقية بَلاعتِه إلى يوم المطر الشديد وسيل المساعد، ليَكتري رجلًا واحدًا فقط، ليُخرج ما فيها، ويَصبّها في الطريق فيَجرفها السيل، ويؤديها إلى القناة، وكان من بين موضع بئره والصبّ قَدرُ ماء ذراع، فكان لمكان زيادة درهمين يحتمل الانتظار شهرًا أو شهرين، وإن هو جرى في الطريق وآذى به الناس" [21].

وكان هذا التصرف ناتجًا عن بخله وعجزه عن دفع المال، إذ كان يؤجّل تنظيف بئره لشهر أو شهرين، لا عن حُسن تدبير، بل من غفلته وبلادته، فيصبّ ما فيها في الطريق مُؤذيًا به الناس.

6- **التحريف والإفتراء**

سخر الجاحظ من الكذب والمبالغة في الادعاء باعتبارهما وسيلتين لتغيير الحقائق بهدف الخداع أو تحقيق غايات شخصية، وقد جعل من الكذب وادعاءاته موضوعًا للسخرية في كتاباته، ومن سخرياته على ذلك نجده يقول: "كانَ أحمدُ بنَ الحارثِ بخيلًا، وهذا أغلبُ ما يكونُ، وكانَ يتخذُ لكلِّ جُبَّةٍ أربعةَ أزرارٍ، ليرَى الناسَ أنه عليه جُبتَينِ، ويشترِي الأعقاقَ والعراجينَ والسعفَ من الكلاءِ، فإذا جاءَ به الحمالُ إلى بابِه تكرَّمَ عليه بما يفهمُ الناسُ أنه له من الأرمينينَ ما يحتملُ أن يكونَ ذلك كلُّه منه، وكانَ يتكرى قدرَ المحارزينِ الذين تكونُ النبيذُ ثمَّ يجري أعظمَها، ويهربُ من الحمالينَ بالكراءِ كي يصيحوا ببابِه، فيشربونَ الدانيَ والسكرَ، ويحسونَ الحمالينَ بالكرمِ"[22].

تُظهر هذه القصة البخل والتفاخر، حيث يظهر البخيل الذي يدعي ما ليس له، بينما هو في الواقع معدوم، وعلى الرغم من بخله فإنه لا يقبل أن يُلقب بالبخيل، فقد كان يتخذ لكل جبة أربعة أزرار ليظن الناس أنه يرتدي جبتين، متظاهرًا بما لا يملكه.

وتُعدّ اللغة الركيزة الأهم والأكثر تأثيرًا في تشكيل البنية لقصيدة النثر، وتنبع هذه الأهمية من خصوصية اللغة نفسها، وطبيعة تكوينها، وحساسية بنائها، وغناها التعبيري والثقافي، بوصفها العنصر الأساس في بناء الفضاء الشعري داخل هذا النمط من القصيدة. وحين تدخل اللغة في نسيج النص الشعري، تتحوّل بالضرورة إلى لغة ثانية؛ إذ إن ماء الشعر هو الذي يهبها تلك الطاقة الفريدة لتغدو مجالًا دلاليًا جديدًا، تنبثق عنه شبكة من القيم والمعطيات والأساليب التعبيرية والسيميائية المبتكرة ذات الطابع الحيوي والمتفرّد. ويتوقف مستوى هذه المعطيات وجدليتها وحداثتها على مدى قوة التشكيل النصي

وفاعليته وانفتاح فضائه وحرية خياله من جهة، وعلى مساحة التحوّل والانزياح التي تتحقق في حركة الدوال من جهة أخرى[23] .

أهم الدراسات السابقة

دراسة أحمد عبد الله (١٩٩٥)، "الجاحظ: دراسات في أدب الفلسفة تناولت هذه الدراسة الرمزية في أدب الجاحظ بشكل عام، مع التركيز على استخدامه للرمز في تسليط الضوء على القيم الأخلاقية والاجتماعية، تتميز هذه الدراسة بتركيزها على البعد الفلسفي في أعمال الجاحظ، وتعتبر مرجعًا مهما في فهم استخدامه للرمزية كأداة نقدية. دراسة يوسف حسين (٢٠٠٣)، "الجاحظ: البخلاء ونقد المجتمع: دراسة نقدية تستعرض نقد المجتمع في "البخلاء" وتنسلط الضوء على كيفية تصوير الجاحظ للطبقات الاجتماعية المختلفة، وتهتم بكيفية تأثير التفاوت الطبقي على سير الأحداث.

– دراسة محمد سامي (٢٠٠٧)، "الجاحظ في نظرية الأدب والفكر: تحلل هذه الدراسة الأسلوب الأدبي والفكري للجاحظ في تقديم الرمزية الاجتماعية في أعماله، ويعرض دور الرمزية في بناء صورة واقعية للمجتمع العباسي. – دراسة سامي مصطفى (٢٠٠٥)، "البخلاء ونقد المجتمع العباسي: تقدم هذه الدراسة رؤية تحليلية لرمزية الشخصيات في "البخلاء"، مع التركيز على التفاوت الاجتماعي بين الطبقات المختلفة وكيف يعكس الجاحظ الواقع الاجتماعي من خلال الرموز.

التساؤلات الأساسية للدراسة

كيف يتم تمثيل الطبقات الاجتماعية المختلفة في "البخلاء" باستخدام الرمزية ؟ ما هي وظيفة الرموز الاجتماعية في تقديم النقد الاجتماعي في نص "البخلاء" ؟ كيف يمكن تفسير العلاقة بين التفاوت الطبقي والاقتصادي في المجتمع العباسي من خلال الرمزية الأدبية.

الخاتمة

إن أسلوب الجاحظ واقعي في القصص لأنه يصف مجموعة ممن التقاهم وسمع عنهم ووصفهم بطريقة مضحكة لأنه يصف إنسان حريص على الطعام والمال، وفي كثير من الأحيان لا نستطيع أن نقرأ قصة دون أن نضحك، خصوصا إذا تخيلت تلك الطرفة كأنها تتجسد أمامك، فالجاحظ لا يفتعل ولا يتكلف في نكته إنما يجسدها بطريقة تجعلك كأنك تعيش ذلك الموقف، وهذا كله راجع إلى نفسيته المرحة والساخرة، وفي ختام بحثنا توصلنا الى النتائج الاتية:

1. استخدم الجاحظ في "البخلاء" أسلوبًا ساخرًا في تقديم العيوب الإنسانية، مثل البخل والجحود والتطفل، مبرزًا جوانبها المضحكة والمزريّة في الشخصيات التي وصفها.

2. اعتمد الجاحظ على تصوير مواقف هزلية ومبالغ فيها، مثل تفاصيل الطعام والأشخاص وتصرفاتهم، مما يضيف بُعدًا ساخرًا ومضحكًا للمواقف.

3. استغل الجاحظ المفارقات بين أقوال الشخصيات وأفعالهم لتسليط الضوء على تناقضاتهم، حيث يقدم الشخصيات التي تتباهى بالكرم لكنها في الواقع ترفض العطاء، مما يزيد من قيمة السخرية في العمل الأدبي.

4. كان الحوار بين الشخصيات عنصرًا أساسيًا في السخرية، حيث كانت الردود الحادة والأجوبة الساخرة تساهم في إظهار تضاد الشخصيات وتعزيز الطابع الهزلي في القصص.

5. حمل "البخلاء" نقدًا للمجتمع العباسي، خصوصًا في عادات الناس التي تنطوي على التفاخر والتمسك بالقيم المزعومة، مما يعكس واقعًا اجتماعيًا متناقضًا وملتوٍ.

6. ركز الجاحظ على السخرية من الطمع والجشع، وأسلوب الحياة المادي الذي كان يعم المجتمع، مما أضاف عمقًا اجتماعيًا للعمل الساخر.

7. كان الجاحظ لا يتوقف عند الاستهزاء فقط، بل كان يستخدم هذا الأسلوب لتوجيه انتقادات لاذعة للأوضاع الاجتماعية والإنسانية في عصره، مع تسليط الضوء على عيوب المجتمع والتصرفات المرفوضة.

8 . التهكم والتعليق الضمني: يبثّ الجاحظ في أثناء القصص تعليقات تهكمية تخفف من حدّة النقد، لكنها تُشعر القارئ دائمًا بأن وراء الضحك رسالة إصلاح. هذا التهكم يدفع القارئ إلى إعادة النظر في السلوكيات اليومية التي قد تبدو عادية لكنها تحمل خللًا أخلاقيًا عميقًا.

9. التصوير الكاريكاتيري للشخصيات

يبالغ الجاحظ أحيانًا في رسم بعض صفات البخلاء حتى تصبح قريبة من الكاريكاتير الأدبي، وهو أسلوب يحقق وظيفتين، الاولى إضحاك القارئ والثانية ترسيخ العيب في ذهنه بما يسهم في نقده ورفضه.

10. النقد الأخلاقي والنفسي

إن السخرية في البخلاء ليست اجتماعية فقط، بل نفسية أيضًا، إذ يكشف الجاحظ هشاشة البخيل، وقلقه، وخوفه من الفقد، واستغراقه في الحسابات الصغيرة. وهذه القراءة النفسية تجعل السخرية أكثر عمقًا من مجرد تصوير مضحك.

11. اعتمد الجاحظ عل الحكاية القصيرة (النادرة) وعلى اللغة السهلة الممتعة مع الفكاهة

12.اعتمد على كثرة الحوار الذي يجعل القصة حية و مباشرة

13. يُعد كتابه نموذجاً مبكراً للأدب النقدي الساخر في التراث العربي

14. أستخدم النقد المبطن للسلوكيات الاجتماعية من خلال تصوير الضيافة كمثال، انتقد الجاحظ الأشكال السطحية للكرم والضيافة التي كانت تهدف إلى تلميع الصورة الاجتماعية بدلا من أن تكون ممارسات حقيقية نابعة من القيم، البخلاء هنا لم يكونوا مجرد أفراد بخيلين، بل رموزاً لظواهر اجتماعية أعمق.

15. سلط الضوء على صراعات الطبقات الاجتماعية : إذ عالج الجاحظ في كتابه الفجوة بين الطبيقات الاجتماعية المختلفة، حيث أظهر تأثير الفقر والضغوط الاقتصادية على سلوكيات الناس. الطبقة المتوسطة على وجه الخصوص، كانت رمزاً للخوف من المستقبل وعدم الاستقرار الاقتصادي.

16. فضح النفاق الاجتماعي عبر استخدام الرمزية، بين الجاحظ كيف أن القيم الاجتماعية تحولت إلى مظاهر زائفة، البخلاء في الحكايات غالباً ما كانوا يتظاهرون بالكرم أمام الآخرين، بينما يمارسون عاداتهم البخيلة في الخفاء، ما يعكس أزمة أخلاقية عميقة في المجتمع العباسي.

17. عزز الوعي الاجتماعي: من خلال أسلوبه الساخر والرمزي، ساهم الجاحظ في دفع القارئ للتأمل في القيم الاجتماعية السائدة وإعادة تقييمها، القصبة الرمزية في البخلاء لم تكن مجرد نقد، بل دعوة للتغيير الاجتماعي من خلال فهم جذور المشكلات.

18.إبرز الدور الاجتماعي للأدب: إذ أظهر الجاحظ أن الأدب ليس فقط وسيلة للترفيه، بل أداة فعالة لتشخيص القضايا الاجتماعية ونقدها.

فإن الجاحظ لم يكن يسعى في البخلاء إلى السخرية فقط، بل إلى تقديم نقد اجتماعي عميق عبر الرمزية، الكتاب تجاوز كونه مجموعة قصصية ساخرة ليصبح وثيقة أدبية تكشف عن أزمات الطبقات الاجتماعية في العصر العباسي، من خلال تصوير التناقضات بين القيم الفردية والجماعية.

المصادر والمراجع

1_ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت_ لبنان، ط8، 1421هـ_2005م، 405.

2_ لسان العرب، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي(711هـ)، دار صادر، بيروت_ لبنان، ط3، 1414هـ،145/7.

3_ المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، وزارة التربية والتعليم، مصر، (د. ط)، 1994م، 305 .

4_ السخرية في شعر البردوني _دراسة دلالية_، عبدالرحمن محمد محمود، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة كركوك، (د. ط)، 2011م، 12.

5_سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، 527_528

6_ البخلاء، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط1، 1948م، 17.

7_ السخرية في أدب الجاحظ، عبد الحليم محمد حسين، دار المعارف، مصر، ط1978،1، 93.

8_ ينظر: البخلاء: 110.

8_ ينظر: السخرية في الأدب العربي، نعمان أمين محمد طه، دار النهضة العربية، مصر، ط1982،1م، 175.

9_ ينظر: ظاهرة البخل عند الجاحظ (قراءة تأويلية)، د. أمباركة مصطفاي، عالم الكتب الحديث، الاردن_ إربد، ط1، 2014م، 4.

10_ ينظر: البخلاء: 56.

11_ البخلاء: 64

12_ المصدر نفسه: 56_57.

13_ المصدر نفسه: 61.

14_ المصدر نفسه: 152.

15_ المصدر نفسه: 144.

16_ المصدر نفسه: 215.

17_ المصدر نفسه: 59.

18_ المصدر نفسه: 43.

19_ المصدر نفسه: 113.

20_ المصدر نفسه:161.

21_ المصدر نفسه: 179.

22_ المصدر نفسه: 180

23_ يُنظر:فصاحة قصيدة النثر _حداثة اللغة تكتب عصرها_، د. محمد صابر عبيد، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية،العدد2009،2م،1.